

مفهوم النقد وخصائصه

1- مفهوم النقد الأدبي:

اعتمد النقد الأدبي على مفاهيم العلوم الإنسانية والتجريبية اعتماداً أساسياً في دراسة الأثر الأدبي، فبات من الضروري الإجابة عن التساؤلات الكثيرة حول ماهية النقد الأدبي، حيث وردت في اللغة العربية لفظة "نقد"، مأخوذة من الفعل الثلاثي "نقد، ينقد، نقداً" ونقد الشيء تمييزه عن غيره، ونقد الكتب تمييزها والنظر فيها لنعرف جيداً من رديئها.

اشتقت كلمة "Critique" في اللغات الأوروبية من الفعل اللاتيني "Krinem" بمعنى يفصل أو يميز، يؤكد هذا وجود شيء يمكن تصنيفه مع نظيره من الأشياء التي لها صفات متشابهة معه بدرجة قليلة أو كثيرة، فالملاحظ أنّ كلمة نقد تحمل معنى أولي هو تمييز شيء عن نظيره؛ غير أنّ الكلمة استخدمت في ميادين مختلفة وبدلالات متغيرة ومتطورة من فترة زمنية إلى أخرى، فقد تدرجت في دلالتها من الدلالة النحوية لدى فلاسفة القرن السادس عشر، ثم اتسعت حتى شملت وصف المؤلفات الأدبية وتذوقها في القرنين السابع والثامن عشر، لتصل مع تطور العلوم الإنسانية واللغوية لتحمل معنى فهم الأثر الأدبي والبحث في دلالاته ومعانيه.

يعدّ النقد نشاط إبداعي مثله مثل الأدب، إلا أنّ الأدب إبداع تركيبى والنقد إبداع تحليلي، ولا غنى عن الحوار بين الخطابين؛ إذ لا يقوم نقد مبدع إلا بوجود أدب مبدع، ولا يتطور أدب مبدع إلا بوجود نقد مبدع هو الآخر.

اختلفت الآراء حول معنى "النقد" فـ رولان بارت يقدمه على أنه "قراءة عميقة أو هو أيضاً قراءة جانبية، وهو يكتشف في العمل معقولا معينا، وإنه في هذا ليفكك تأويلا وسيشارك فيه، ومع ذلك فإنّ ما يهتك النقد ستره لا يمكن أن يكون المعنى (...). فقط سلسلة من الرموز والعلاقات المتجانسة"؛ يحتم الأثر الأدبي باعتباره يحوي معان غنية وعميقة، على الناقد الأدبي أن يراعي طبيعة اللغة الرمزية حتى يفكك

الأثر الأدبي ويكون مشاركا في إنتاج دلالاته، عليه أيضا أن يقوم بعقلنة هذا الأثر الأدبي؛ أي النظر إليه في حدود المنطق والمعقول ولا يحمله ما لا يُطبق.

أنيط النقد الأدبي بوظيفة أساسية تسعى لكشف المعاني الخفية والعميقة المدرجة في الأثر الأدبي، مع التزام الناقد بمبادئ المنطق حتى يتمكن من اكتشاف البنية العميقة له؛ ذلك أنّ الخطاب النقدي لا يمكنه سوى تحديد مسارات Trajets داخل العمل الأدبي، غايتها إبراز بعض البنى والكشف التدريجي عن المعنى، ولا يمكن اعتبار عملية تفسير العمل الأدبي بمثابة إجهاد وإنهاك أو إفقار لمضمونه؛ بل هي عملية تعليق وتوضيح وتفسير للمحتوى، يربطها الخطاب الأدبي من الخطاب النقدي، وربما يصل الناقد بعمله النقدي هذا إلى استتطاق النص الأدبي والوصول إلى دلالات ومعاني عجز عن قولها بصورة واضحة يسهل إدراكها؛ فوظيفة النقد سواء كانت علمية أو فنية، لا يمكن أن تنتج مجرد مقال ملازم أو مواز لمقال آخر، فالنقد ليس مقتصرًا على القراءة والتحليل السلبي، بل إنّ الناقد يقول شيئًا لا يقوله العمل المطروح للدراسة.

ويعرّف بيير ماشري P. Machery النقد على أنّه نشاط تأملي يسعى لإجلاء القواعد والقوانين المضمرة في الآثار الأدبية؛ حيث يكشف هذا التعريف عن أمر مؤكد في النظرية الأدبية هو أنّ القواعد والأسس التي يستند إليها النقد الأدبي استمدتها من مادة الأثر الأدبي، لقد ظهر النص أولاً وبعدها صيغت النظريات التي تشتغل عليه. وفي تعريفه للنقد تحدث عن وظيفة الناقد الأدبي هو الذي يقوم بقراءة الأثر قراءة لغوية وخفية، ويحدّد له مكانا داخل نظام الإنتاج الأدبي عن طريق اكتشاف قوانينه اللغوية والفنية، معتمدا في ذلك على مفاهيم علم اللسانيات.

أقل ما يمكن أن يقدمه الناقد لعمله المنقود؛ الكشف عن بناء اللغوية والجمالية متوسلا بقواعد ومفاهيم علم اللغة، التي سنتها مختلف المدارس اللسانية، إلاّ أنّه يحتاج إلى لغة فوق اللغة التي يملكها الأثر موضوع الدراسة ليثبت بها فعالية عمليته النقدية؛ لأنه يقوم بما يسمى **النقد الماورائي**، الذي اقترحه رولان بارت على اعتبار أنّ لغة الناقد لغة تقع وراء اللغة، فمن الواجب على هذه اللغة الماورائية (الميتالغة)

لكي تكون فاعلة، أن تتغير مع النص المدروس. ومفهوم اللغة الشارحة Métalanguage يشير إلى استخدام اللغة في الحديث عن اللغة، فتصبح اللغة المتحدّث بها لغة شارحة للغة التي يتحدّث عنها أو ما بعد لغتها. انتقل هذا المصطلح من المنطق الوضعي إلى علم اللغة على يد رومان جاكوبسون، وارتبط عنده بالوظيفة التي تجنح إليها اللغة عندما يركّز الحدث الكلامي على الشفرة، فتصف اللغة نفسها أو تتأكّد من فعالية نظامها الشفري في عملية التوصيل. تتضمن اللغة الشارحة الكلمات التي تستخدمها لتحديد عناصر اللغة الموضوع والإشارة إليها، كما تتضمن المصطلحات التي تستخدمها لوصف العلاقات بين هذه العناصر.

يتحمّم على الناقد أن يختار لغة ماورائية تطابق لغة العمل الأدبي، ليستطيع تحليلها على أرض مشتركة معها؛ فالعمل الأدبي له بنية وكذلك العمل النقدي؛ حيث حمل النقد الأدبي على عاتقه مهمة وضع جملة من القواعد والقضايا النظرية، التي إذا توّسل بها الناقد عالم الأثر الأدبي، استطاع أن يصل إلى الإقرار بوجود علاقات علمية تربط بنية العمل الأدبي وعناصره الداخلية. وكل هذه الإجراءات ستكون خاضعة لا محالة لمبادئ المنطق مع كثير من المعقولية .

2- وظيفة خطاب النقد:

اتفق منظرو الأدب على أن مجال اشتغال النقد الأدبي هو النص الأدبي، فقد أوكلت له مهمة إنتاج النصوص الأدبية، لكن هذا لا يعني أن النقد هو عمل إبداعي ويلتزم بكثير من الموضوعية، كما أن النقد الأدبي ليس نقيض العمل الأدبي بوصفه نص مركب من جملة من البيانات الثقافية والحضارية واللغوية. بل هو عمل تحليلي يفك مغاليق العمل الفني؛ هو نص منتج أعاد خلق العمل الفني من جديد، فالنقد ليس تفسيراً للعمل المنقود بقدر ما هو إعادة خلق، قائمة بذاتها، تعتبر العمل الذي تتعامل معه إحدى مفردات هذا الخلق التركيبي المعقد والذي تدخل فيه مفردات أخرى: حضارية، اجتماعية، ثقافية، واقتصادية، ليتكوّن منها جميعاً العمل النقدي.

يعتبر الخطاب النقدي نص موضوعه الأساسي النص أو النصوص الأخرى، وهو يسعى إلى ضرورة وعي النقد بنقد الذات، من خلال تمحيص أدواته المستمر

وإرداف قدرته، كمجال نوعي وإبداعي متخصص على القيام بوظائفه المتعددة. ويشمل النشاط النقدي على جملة من النقود المختلفة من بينها:

- النقد النظري.
- النقد التطبيقي.
- النقد التعليمي.
- نقد النقد أو الميتانقد.

أي كل أنساق هذا النظام أو الجهاز التعبيري الوظيفي المستقل.

3- أنواع خطاب النقد:

يلاحظ المتصفح للنشاط النقدي المعاصر، وجود ثلاثة أنشطة نقدية يقوم بها ثلاث نقاد، في مستويات تعليمية مختلفة ومتباينة، غير أنها تنطوي تحت إطار نقدي واحد وهو الخطاب النقدي.

3-1 النقد الجامعي:

لقد تحدث رولان بارت على نوعين من النقد يتعامل معهم النقاد في فرنسا، أحدهما: النقد الجامعي الذي ينهض في الأساس على المنهج الوضعي الموروث عن لانسون، والذي يرفض الايديولوجيا في ممارسته، ولا يتلمس في إجراءاته إلا المنهج الموضوعي، حيث علقت الممارسة النقدية على هذا النوع بعضا من آمالها، لأنه يرجى ويتوقع منه أن يضيف شيئا إلى المعرفة النقدية والأدبية، وأن يوسع أفق المعلومات النظرية والعلمية بطبيعة آليات الأنظمة الأدبية المختلفة. أقل ما يقال على هذا النوع أنه عماد النشاط النقدي وينهض بهذا النقد، الباحث الجامعي، والمنظر النقدي؛ فهو عملية إدراكية مجردة، ينتمي إلى النقد الوضعاني الذي يمارسه الأساتذة الجامعيون في المؤسسات الأكاديمية العليا.

3-2 النقد الذي يتم في إطار الحركة الثقافية العامة:

يخضع هذا النشاط للقراءة والمتابعة، وهو ليس منفصلا عن النقد الجامعي بالنسبة لاهتمامات الخطاب النقدي النوعية، ويقوم بإصدار أحكام القيمة، وفرز ما تموج به الساحة الأدبية من إبداع، ويتوسل به أن يكون وسيطا بين النص الأدبي والجمهور،

وأن يساهم في صياغة الذوق الأدبي وفي تغييره كلما لزم الأمر، وكذا التأثير على عمل الكتاب المبدعين من خلال تشجيعهم على المضي في مغامراتهم الإبداعية. ويرجى منه أن يخطو بالعملية التنظيرية خطوات متباينة وفعّالة، حيث أسندت هذه المهمة للنقاد الأدبي الذي يكون متابعاً للإنتاج الأدبي والظواهر الثقافية؛ فهو نقد تأويلي يمارسه عامة المثقفين والأدباء، وما يقال عن هذا النوع أنه نشاط نقدي تقييمي معياري للنصوص يسعى لاستيعاب ظاهرة أو نشاط أدبي محدّد.

3-3 النقد التعليمي أو المدرسي:

يمارس هذا النقد على المستوى التعليمي في الثانويات، يهدف إلى تدريب الطلاب وإعدادهم لدخول عالم الأدب من خلال إتاحة المعلومات والنماذج والأفكار التي تساعدهم على فهم آليات عمليتي الإبداع والتلقي وربما المشاركة الفعّالة فيها؛ وهذا النشاط النقدي عبارة عن عمل توجيهي يضطلع به المدرس.

المراجع المعتمدة:

- ادبث كريزويل. عصر البنيوية. ترجمة : جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993.
- ترفيتان تودوروف. نقد النقد رواية تعلم. ترجمة سامي سويدان. ط1. منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت. 1986.
- رولان بارت. نقد وحقيقة. ترجمة منذر عياشي. ط1. مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب 1994 .
- سمير سعد حجازي. النقد الأدبي المعاصر-قضاياها واتجاهاته- ط1. دار الآفاق العربية القاهرة ، 2001.
- صبري حافظ. أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية. ط1. دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة 1996.
- عبد الملك مرتاض. في نظرية النقد. متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها. ط1. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2002.

- مجموعة من الكتاب. مدخل إلى مناهج النقد الأدبي. ترجمة/ رضوان ظاظا. سلسلة عالم الفكر. العدد 221. 1978.
- نبيل راغب. موسوعة النظريات الأدبية. الشركة المصرية العامة للنشر، لونغمان، القاهرة، 2003.